

أسلمة الفن في رأي الدكتور إسماعيل الفاروقي - الأسس والمظاهر

Islamization of Art in the Opinion of Dr. Ismail Farouki - Foundations and Appearances

أسامة الغنميين، وعبد الجليل ضمرة

Osamah AlGonmeen & AbdalGaleel Damrah

قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن

الباحث المراسل: بريد الكتروني: dr.osamaalgonmeen@yahoo.com

تاريخ التسليم: (2013/6/10)، تاريخ القبول: (2013/12/23)

ملخص

هذا بحث مختصر في رأي الدكتور إسماعيل الفاروقي -رحمه الله تعالى- في الإسلام والفن، يبينت فيه أسس ومظاهر الفن الإسلامي، وفق رؤية الفاروقي، حيث جعل الفاروقي، حقيقة الفن الإسلامي، كأمينة فيما يتصف به من وحدة في المقصد والشكل، وقدم الفاروقي أسس الفن الإسلامي، فجعل أولها: الأساس الروحي، الذي يعني: استبعاد خلق الخالق بالمخلوق، واستبعاد سائر مظاهر تكشف، أو تجلي الذات الإلهية. ثم أساس اللاتبيعية الواضحة، ويقصد به الفاروقي: أن الإسلام كان قوياً في المسعى الاستطائقي⁽¹⁾، كما كان قوياً في المسعى الديني، فقدم اللاتبيعية الواضحة، عن طريق ما أتى به من حل فريد وإبداعي ومبتكر، وهو أن يصدر النبتة أو الزهرة المنمنمة في تكرار لا نهائي، كي يبرأ من أي تفردية، ويلغي بذلك المذهب الطبيعي من الوعي، مرة واحدة، وإلى الأبد. وجاءت عناصر التكوين التاريخية للإسلام، ثالث أسس الفن الإسلامي، وهي عند الفاروقي: عناصر تكوين الوعي العربي، وهي: اللغة العربية، وفن الأدب، والشعر العربي. كما قرر الفاروقي، أن الفن الإسلامي، جميعه، قد استعان بألفاظ القرآن الكريم، والحديث، البالغة التأثير في الوجدان، وبالشعر العربي أو الفارسي، أو بأدب الحكمة الإسلامي، واستخدمها بأن صاغها فن خط عربي. وقد بين الفاروقي بعضاً من مظاهر الفن الإسلامي، فكان القرآن الكريم، أول تحفة إسلامية فنية رائعة، في الشكل والمضمون، وكانت الفنون البصرية، وهي الرسوم والتصويرات المرئية، ومنها: فن المنمنمات، والأرابيسك، وفن الخط العربي، من أهم ما تميز به الفن الإسلامي. ومن مظاهر الفن الإسلامي التي كشف الفاروقي عنها وعن خصائصها: فنون المكان، وهي الخاصة بالمساجد، والأضرحة، والقلاع والقصور، والأبراج والجسور.

الكلمات المفتاحية: أسلمة الفن، الفن الإسلامي، الفاروقي.

(1) الاستطائقي: علم الجمال. وأصل الكلمة يوناني إغريقي. والبحث في هذا يطول ينظر: مطر، أميرة حلمي، فلسفة الجمال، أعلامها ومذاهبها، الطبعة الثانية، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2002م، ص21.

Abstract

This research brief in the opinion of Dr. Ismail Farouki - Almighty God's mercy - in Islam and art, Apent the the foundations and manifestations of Islamic art, according to the vision Farouki. Terms of making Farouki, the fact of Islamic Art, latent in characterized by its unit in the destination format, introduced Farouki foundations of Islamic art, and started the first: the foundation of spiritual, which meant it: the exclusion of mixing Creator moral character, and the exclusion of other manifestations reveal, or the manifestation of the divine. Then basis Allatabaah clear, and is intended Farouki: that Islam was strong in the endeavor Alastatqi, as it was strong in the endeavor religious, introduced Allatabaah clear, through what brought him to solve unique and creative and innovative, which is to issue a plant or flower miniaturized to repeat endlessly, in order to recover from any freed, and eliminates the so naturalism of consciousness, once, and forever. Came the historical configuration elements of Islam, the third foundations of Islamic art, which is when, Farouki: Arab awareness of configuration items, namely: Arabic language, literature, art, and poetry. Farouki also decided that Islamic Art, Society, has hired verbally Quran, talking, amounting to influence the conscience, and Arabic poetry, Persian, or politely Islamic wisdom, and used that penned the art line Arabic. The between Farouki some of the manifestations of Islamic art, was the Quran, the first masterpiece of Islamic art great, in form and content, and the visual arts, the fees and graphics that are visible, such as: the art of miniatures, and arabesques, the art of calligraphy, the most important thing has characterized Islamic Art. One of the manifestations of Islamic art disclosed, as well as their characteristics, Farouki: Location arts. They own mosques, shrines and castles, palaces, towers and bridges.

Keywords: Islamization art, Islamic art, Farouki.

المقدمة

فلا يزال الفن يمثّل إشكالية كبرى، في صورته وأساليبه وآثاره، وكذا فإنّ الفنّ الإسلامي تتجاذبه وُجّهات نظر مختلفة، وبعضُ هذا الاختلاف مقبول متقارب، وكثير منه متناقض متضاد، تتصارع فيه الإباحة مع الحرمة، والتنفير مع الدعوة.

ومن تلك الوجهات التي تناولت الفنَّ الإسلامي، وجهة الدكتور إسماعيل الفاروقي- رحمه الله تعالى-، الذي حاول في تفسيره للإسلام، أن يربط بين تطور الفهم الديني وتجديده، وبين الفنَّ الإسلامي.

ويقدم هذه البحث رؤية لرأي الدكتور إسماعيل الفاروقي، للفن في الإسلام، أسسه ومظاهره، تلك الرؤية التي شاركته فيها، زوجته لوس لمياء الفاروقي⁽¹⁾.

مشكلة البحث

تظهر مشكلة البحث في أنه يطرح موضوعاً، اختلفت فيه الآراء، قديماً وحديثاً، فلا يزال الفن الإسلامي يمثل إشكالية كبرى في الفكر الإسلامي، إشكالية طرحت أسئلة عدة، منها:

1. هل في الإسلام فن؟، وما نوع الفن الذي يقبله الإسلام؟.
2. ما رأي الفقه في تطور الفنون؟، وهل ضيق الفقهاء المسلمون دائرة الفنون؟.
3. أين يقع الفن لدى الأصوليين المسلمين؟، هل هو في مرتبة الضروريات، أم هو في مرتبة التحسينيات؟.
4. هل كان اهتمام المسلمين بالفنون سبباً من أسباب تخلفهم، أم سبباً في تقدمهم، ونشر دعوتهم؟.
5. ما العناصر الأساسية الصحيحة للفن الإسلامي؟، وما هي مظاهره الحقيقية التي تعبر عنه؟.

وجواباً على تلك الأسئلة، فقد ظهرت دراسات عديدة، تمثل رؤى مختلفة، منها ما كانت وظيفتها مقتصرة على إعادة الرؤية الفقهية القديمة، بما فيها من خلافات وآراء، وانطلق بعضها- في معالجته- من مبدأ الضرورة والحاجة، وبعضها من مبدأ مسايرة العصر، واختلاف الأزمان، وبعضها من نظرة أصيلة متحررة، كاشفة عن جوانب لم تدرس سابقاً، ومن أدق تلك الدراسات ما قدمه الفاروقي، حيث وضع أسساً رفيعة للفن الإسلامي، مستمدة من الدين الإسلامي، وأبان مظاهر رائعة هادفة لذلك الفن الجميل، وذلك كله بغية تقديم الإسلام، ديناً فاعلاً في مناحي الحياة، عابراً في تأثيره ثقافات أمم غابرة، وأخرى حادثة.

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث، في أهمية قضيته، التي ما تزال محل نظر وخلاف، فمن مستهين بأمر الفن الإسلامي، لا يراه ضرورة، ولا يرى له أثراً بالغاً يستحق الذكر، واضعاً إياه في أدنى

(1) إذ خرج **أطلس الحضارة الإسلامية**، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة، الرياض، مكتبة العبيكان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1419 هـ، 1998م) والذي يتحدث في جزء كبير منه حول الفن الإسلامي- بتأليفهما رحمهما الله تعالى، بيد أن زوجته كانت متخصصة في الفن والجمال الإسلامي.

مراتب التحسينيات، إلى من يجعل قضية الفن في مرتبة الضرورات، ويجعل للفن أثراً عظيم الأهمية، في الدعوة إلى الله تعالى، وفي تقديم الإسلام، ديناً جمالياً يعتني بالفن، ويجعل منه بوابة مهمة لمخاطبة الأمم الأخرى.

وإني أرى الفاروقي، أميل إلى الجانب الثاني، حيث قدم للفن الإسلامي أسساً، تمنع الاستهانة به، وتدعو إلى مزيد من العناية والاهتمام، كما عرض مظاهر للفن الإسلامي، تشكل أهم الأدلة على أهميته وفاعليته وأثره البارز الإيجابي في الحياة.

كما تبرز أهمية هذا البحث في الكشف عن تلك العقلية الإسلامية الفذة، التي قدّمت الفن الإسلامي بأسلوب شائقٍ ممتعٍ عميقٍ، رابطٍ، بين الفنّ والإسلام، عظمتاً وبهاءً، وسيلةً وغايةً.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1. إبراز رؤية الفاروقي، لأسس وعناصر الفن الإسلامي، ومظاهره.
2. بيان العلاقة بين الفن الإسلامي، وبين أسسه ومصادره، التي هي- في جزء كبير منها- مصادر التشريع ذاتها.
3. بيان أثر الفن الإسلامي، في الدعوة إلى الدين الإسلامي.
4. إظهار تأثير الفن الإسلامي، في ثقافات الشعوب غير الإسلامية.

الدراسات السابقة، تحليلها، وبيان موقع البحث منها

كثيرة جداً، تلك الدراسات التي اعتنت بقضية الفن الإسلامي، ومنها:

الإسلام والفنون الجميلة. للدكتور محمد عمارة. الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1411هـ، 1991م وقد انصب بحث المؤلف على عرض الحكم الشرعي في الغناء والسماع، وقد تعرض الباحث باقتضاب شديد، إلى أمثلة للفن الإسلامي في الثياب، والزينة، والنظافة، وإلى أشكال من جماليات السماع، كغناء الجوارى، والضرب بالدفوف، واللعب بالحراب في المسجد، وقد تعرض المؤلف إلى جماليات الصور في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، بأسلوب قريب جداً من علم البلاغة، ولم يتعرض الكاتب إلى نقد نظرية الفن الإسلامي، كما لم يقدم أي معلومات عن أسسه ومظاهره.

1. مناهج الفن الإسلامي. للشيخ محمد قطب. الطبعة السادسة الشرعية، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ، 1983م وقد تعرض الكاتب إلى التصور الإسلامي للفن والجمال، وتحدث عن مشاهد الطبيعة، ومشاهد القيامة، وأسلوب القصة في القرآن الكريم، بوصفها مجالات للفن الإسلامي في القرآن الكريم، ثم ساق أمثلة للأدب الإسلامي، شعراً وقصة ومسرحية.

2. الفنون الإسلامية، أصالتها وأهميتها. لمؤلفه: حامد سعيد. الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1421هـ، 2001م وقد تركز بحث الكاتب على أصالة الفنون الإسلامية، وأهميتها، وإلى العلاقة بين الفطرة وبين الفن. وقد كانت أسس أصالة الفن الإسلامية،- كما يراها الكاتب متمثلة في الفنان، والإنسان، والمسلم.
 3. كتاب: نحو نظرية للجمالية الإسلامية في الفن العربي الإسلامي. لمؤلفه: علي اللواتي، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط 1، 1982. وقد فصل البحث في موقف الحضارة العربية الإسلامية من الجمال، وكيف يمكن أن نفرز خطاباً منهجياً، نفيد منه في بحث الأسس الجمالية للفن الإسلامي.
 4. بحث: عقدة الفرع من الفراغ في الفنون الإسلامية. لمؤلفه: عفيف البهنسي، القاهرة، مجلة: الكتب وجهات نظر (مجلة فكرية شهرية)، العدد السادس عشر، مايو 2000م. وقد أبرز البحث عقدة كراهية الفراغ والفرع منه، وأن ذلك من خصائص الفن الإسلامي التي تتناولها الدراسات العربية والاجنبية على حد سواء، دون مراجعة نقدية جادة لحقيقتها الواقعية في ثقافة الانسان العربي.
 5. بحث: مفهوم الجمالية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية. لمؤلفه: فريد الأنصاري، حراء (مجلة إستانبول) السنة الأولى، العدد الأول، 2005. وقد تناول البحث معنى الجمال من حيث مفهومه وماهيته ومقاييسه ومقاصده.
- لقد جاء الفاروقي-كما سيأتي بيانه في البحث- في عرضه لأسس الفن الإسلامي ومظاهره، بنظرية جديدة، ارتقت بالفن الإسلامي، ليكون خاصاً في الأسس، وفي المظهر والهدف، مما رتب على الفنان المسلم المعاصر مسؤولية، ربما كانت غائبة عنه، في التصور والتطبيق.
- لقد وجَّهَ الفاروقي، الإنسانَ إلى أن يعرف الله تعالى، بالعقل، ويحبه بالفن⁽¹⁾، وذلك من خلال كشف الفاروقي عن استعانة الفن الإسلامي بألفاظ القرآن الكريم، والحديث النبوي، البالغة التأثير في الوجدان، وبالشعر العربي أو الفارسي، أو بأدب الحكمة الإسلامي، في صياغة مستغلة للخط العربي⁽²⁾.

منهجية البحث

لقد اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، وذلك من خلال استقراء كلام الشهيد الفاروقي، فيما تيسر لي من كتبه وأبحاثه. وكذلك المنهج التحليلي القائم على البيان والتفسير ثم الاستنباط.

(1) ينظر: مقدمة المترجمة: وفاء إبراهيم، لكتاب الإسلام والفن، للفاروقي، ص23. دار غريب للطباعة، القاهرة، 1999م.

(2) ينظر، الفاروقي، الإسلام والفن، ص 57.

خطة البحث

قسمت بحثي هذا إلى مبحثين، عرض المبحث الأول لمعنى الفن الإسلامي وأثره عند الفاروقي. أما المبحث الثاني، فجعلته في: أسس الفن الإسلامي، ومظاهره، وفق رؤية الفاروقي، ثم ختمت البحث بجملة من النتائج، هي في حدود ما أطلعتُ عليه من كتابات الفاروقي.

المطلب الأول: معنى الفن، والفن الإسلامي

أولاً: معنى الفن لغة

الفن لغة من: (فن)، والفاء والنون أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على تعنيّة، والآخر على ضربٍ من الضُّروب في الأشياء كلها. فالأول: الفنّ، وهو التّعنية والإطراد الشّدِيد. يقال: فننُّه فنّاً، إذا أطردته وعنيته. والآخر الأفانين: أجناس الشّيء وطرقه. ومنه الفنّ، وهو الغصن، وجمعه أفنان⁽¹⁾.

الفنّ: الحال، والفنون: الضُّروب، والأفانين: أشياء مختلفة، مثل، ضروب الرّياح، وضروب السبيل، والرّجل يُفَنُّ الكلام، أي: يَسْتَقُّ في فنٍّ بعد فنٍّ⁽²⁾.

وافتنّ الرجل في حديثه وفي خطبته، إذا جاء بالأفانين، وهو مثل اشتق⁽³⁾، وإن المجلس ليجمع فنوناً من الناس، أي: ناساً ليسوا من قبيلة واحدة⁽⁴⁾.

ويلحظ من المعنى اللغوي الثاني للفن، أنه أساليب للتعبير، وأن هذه الأساليب مختلفة ومشتقة، ليس من شيء واحد، بل من عدة أشياء، وهو ما يوافق رؤية الفاروقي، الآتي بيانها، حيث يجعل الفن الإسلامي، مبنياً على أسس كثيرة، وكأنه مشتق منها، كما أنه – أي الفاروقي – يقدم مظاهر للفن الإسلامي، تمثل أساليبه المختلفة، المعبرة عن تلك الأسس المشتق منها، وبعض تلك المظاهر مشتقة من مظاهر أخرى.

- (1) ابن فارس، محمد بن زكريا أبو الحسين الرازي. معجم مقاييس اللغة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1441هـ، 1991م. ج4، ص347.
- (2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن. العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1988م، ج8، ص372.
- (3) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الرابعة. دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ (1987م). ج6، ص2177.
- (4) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي. المحكم والمحيط الأعظم. المحقق: عبد الحميد هندواي. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية، بيروت. 1421هـ - 2000م. ج10، ص462.

ثانياً: معنى الفن الإسلامي

يعرف الفن الإسلامي على أنه: التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود⁽¹⁾.

ويمثل الفن جزءاً من ثقافة أي أمة من الأمم، وقد عرفت الثقافة الإسلامية فناً قولياً، وشعبية، انتشرت في البلاد العربية والإسلامية، وخاصة فنون الشعر الغنائي، والنثر الفني، والسير الشعبية، والقصص الخيالية والتاريخية، فضلاً عن فنون الهندسة المعمارية والرسم والخط والزخرفة، سواء على الورق أو الجدران أو المحاريب أو مداخل القصور والمساجد، والمنابر والأرضيات والقصور الإسلامية⁽²⁾.

المطلب الثاني: معنى الفن الإسلامي عند الفاروقي

قدم الفاروقي تعريفاً للفن مفاده: أن الفن نمط جمالي، يقدم أعمالاً تبعث على التأمل الجمالي، والمتعة النفسية. ثم بين أن وظيفة الفن تكمن فيما يمثله ذلك التأمل وتلك المتعة من دعم لفكر المجتمع الأساس وبنيتة، وتذكير دائم بمبادئه⁽³⁾.

فالفن في رؤية الفاروقي: "عملية استكشاف داخل الطبيعة لذلك الجوهر الماورائي، وتمثله في شكل منظور"⁽⁴⁾.

وقد جعل الفاروقي حقيقة الفن الإسلامي، كامنة فيما يتصف به من وحدة في المقصد والشكل، ويفسر ذلك بقوله: "فمن قرطبة إلى ماندانا"⁽⁵⁾، ما إن دخلت إلى الإسلام، حتى أبدت فنون هذه البلاد خصائص أساسية واحدة، من اجتناب للمذهب الطبيعي، ونأي عن التشخيص، وتفصيل للاحتفال بالأسلوب والشكلية، المتولدة من الحركة واللامحدودية"⁽⁶⁾.

- (1) قطب، محمد. **منهج الفن الإسلامي**. الطبعة الشرعية السادسة. دار الشروق. 1403هـ، 1983م. ص6.
- (2) القاعد، حلمي. **العلمانية والفن**. مجلة البيان، مجلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، محرم 1422هـ، عدد 161، ص 48.
- (3) ينظر: الفاروقي، إسماعيل راجي ولوس لمياء. **أطلس الحضارة الإسلامية**، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، الرياض، مكتبة العبيكان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1419 هـ، 1998م، ص 244.
- (4) الفاروقي، إسماعيل راجي. **التوحيد، مضامينه على الفكر والحياة**. ترجمة: أ.د. السيد عمر، ص 327.
- (5) جزيرة في الفلبين.
- (6) الفاروقي، إسماعيل. **الإسلام والفن**، ترجمة: وفاء إبراهيم. القاهرة، دار غريب، رقم الإيداع: 199/7240م، ص57.

المطلب الثالث: أثر الفن الإسلامي عند الفاروقي

لقد قدم الفاروقي، عرضاً لأثر الفن الإسلامي في أصحاب الديانات الأخرى، الفاطنين في بلاد الإسلام، فأوضح جفاء معابدهم في بلادهم، من الفن الروحي السامي، بينما كانت معابدهم الكائنة في بلاد الإسلام زاخرة بمظاهر التطور الإسلامي في الفن⁽¹⁾.

وبيانه: أن الفن الإسلامي نأى بنفسه عن التصور الحسي بأجمعه، وهذا ما أثر في معابد غير المسلمين، المقامة في بلاد الإسلام، فقد قلت فيها الرسوم الحسية، وكثرت فيها الزخرفة الإسلامية⁽²⁾.

وهذا ما أوضحه بعض الباحثين في أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية، ذلك أن الفنون الإسلامية قد سلكت سبيلها إلى أوروبا عن طريق الأندلس، مثل صناعة الخزف والنسيج، والتعدين، وصناعة المعادن، والنجارة، والتطعيم بالعاج وغيرها من الصناعات⁽³⁾.

كما أن له أثراً في حركة الإصلاح الديني في أوروبا، لدرجة سعيهم إلى منع التصاوير في الكنيسة، ورفضهم تعظيم الك التصاوير؛ تأثراً بسلمي الأندلس وغيرهم⁽⁴⁾.

وقد لاحظ أكثر من باحث، أن الإسلام في فنونه، يهتم بالتجريد⁽⁵⁾، وغيره يهتم بالتجسيم، وهذا الفارق مهم جداً؛ لأن الفنان المسلم يهدف إلى قيمة، بالدرجة الأولى، أما الفنان غير المسلم، فيهدف في الغالب إلى منفعة، والفارق بين التوجهين كبير⁽⁶⁾.

فكان للفن الإسلامي نظريته الخاصة الإسلامية الجمالية التي تحكم طبيعة فنون فتجعلها إسلامية، من خلال اتباع أنماط تخالف الأنماط الطبيعية، وصولاً إلى أن الطبيعي لا يعني ولا يساوي الحقيقة. وهي الطريقة السامية في التعبير الفني، حيث يتم تجريد العمل الفني من صورته الطبيعية، إلى شكل يتجاهل الصورة الطبيعية، فتصير الأشكال، مجرد أدوات زخرفية في الفن، ولا تعود معبرة عن طبيعتها⁽⁷⁾.

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 63-64.

(2) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 69-70.

(3) ينظر: رمضان، جاد أحمد. أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نسخة حاسوبية موجودة على المكتبة الشاملة، غير موافقة للمطبوع، ج 23، ص 45.

(4) ينظر: داغر، شربل: الفن والشرق، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط 1، 2004، 1 / 72 .

(5) من أحسن التعريفات الإجمالية للتجريد: افتراض الحكم الكلي عند تقريره كائنا في الأذهان على الأوصاف المجردة عن الأشخاص المعينين والأعيان المحددة ينظر: ابن خنين، عبد الله بن محمد. تنزيل الأحكام على الوقائع القضائية والفتوية. مجلة البحوث الإسلامية في الفقه الإسلامي. عدد 78، ص 229.

(6) القاعد، حلمي. العلمانية والفن. مجلة البيان، عدد 161، ص 48.

(7) الفاروقي: التوحيد والفن (3)، المسلم المعاصر، العدد 25، 1981م، ص 178-194.

فقد باعد الفنان المسلم، بين الشيء الطبيعي، الذي اتخذه مادة لعمله الفني، وبين خصائصه الطبيعية، بأقصى قدر مستطاع من التتميط، إلى حد أصبحت معه إمكانية التعرف عليه شبه مستحيلة، وكان باعته على ذلك رؤيته التوحيدية، فليس في الطبيعة أي شيء يمكن أن يعبر به عن الله، أو أن يصور الله به⁽¹⁾.

المبحث الثاني: أسس الفن الإسلامي، ومظاهره، وفق رؤية الفاروقي

المطلب الأول: أسس الفن الإسلامي، وفق رؤية الفاروقي

قد أوضح الفاروقي أن نظرية الفن الإسلامي، تستند إلى عناصر كامنة في الإسلام، ديناً وثقافة، فهي لا تنبع من تراث فلسفي فني أجنبي مفروض عليها، وعليه فقد كان القرآن الكريم مصدراً جاهزاً للإبداع الجمالي، وهو الذي أعطى الفنون الإسلامية أسساً راقية تميزه عن غيره⁽²⁾. وفيما يلي عرض لتلك الأسس.

الفرع الأول: الأساس الروحي

لقد أعطى الفاروقي، للفن الإسلامي، أساساً راقياً، هو الأساس الروحي، ويعني الفاروقي به: استبعاد خلط الخالق بالمخلوق، واستبعاد سائر مظاهر تكشف أو تجلي الذات الإلهية⁽³⁾.

ويبرر الفاروقي ذلك الاستبعاد، بأن الخلط بين الخالق والمخلوق، يقتضي الولوج في باب الجمع بين الخصائص الزمانية المكانية بين الطرفين، ولا يمكن لعالمي الوجود هذين أن يلتقيا أبداً⁽⁴⁾؛ إذ تقوم الرؤية الإسلامية التوحيدية على أساس وجود حقيقتين، لا ثالث لهما: حقيقة منزهة هي: عالم الخالق، وحقيقة طبيعية هي: عالم الخلق⁽⁵⁾. فالتوحيد- وفق رؤية الفاروقي- هو هو القاسم المشترك بين كل الفنانين المنطلقين من الرؤية الكلية الإسلامية، مهما اختلفت أعراقهم وديارهم⁽⁶⁾.

ويرجع الفاروقي في تصوره هذا، إلى أسس العقيدة الإسلامية، التي تفرض على المسلم الإيمان بالله تعالى، دون تكيف لذات الله سبحانه وتعالى، قال الفاروقي: "... ويصر الإسلام مؤكداً على أنه يجب على الذات أن تكون على وعي دائم بأن الكلمات والتصورات والمدركات الخاصة بالتعبير أو بالعبارة، إنما يجب أن تفهم بلا كيف، وعلى نحو مباشر دون ما سند من مخيلة؛ وذلك بالضبط كي لا يدخل فساد على الجوهر المفارق للموضوع المدرك...، ومن هنا جاء تقرير الإسلام بأن ينأى بنفسه بعيداً عن التمثيل التصويري بأجمعه، فأعاد دعم المبدأ السامي

(1) الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ترجمة: السيد عمر، 1431هـ، 2010 م. ص 286 .

(2) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، ص 265 .

(3) ينظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص68-69.

(4) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص68-69.

(5) الفاروقي، التوحيد والفن (3)، ص 138 .

(6) ينظر: الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص 332 .

بتوكيد مجدد وحماس لا يدانيه حماس آخر⁽¹⁾. ومن هنا فقد اتجه الفن الإسلامي إلى الظهور عن طريق فنون كثيرة، منها: فن المنمنمات، وفن الزخرفة، وفن الأربيسك وغيرها.

وهذا ما ميز الفن الإسلامي عن العقلية الغربية التي توجهت إلى التعري في كل مجالات الحياة، ومن هنا شهد الغرب ثقافة العري التي طبعت أدبه وفنونه، ومن ثم صدرها إلينا، مع المثقف العربي المصنوع على النمط الأوروبي، ولذلك فليس عيباً أن يتجه الفن الإسلامي في العمارة إلى التجريد بدل التجسيد، من خلال اعتماد الخط العربي في الزخرفة والتعبير، والأشكال الهندسية الانحنائية، المتكاتفه والمتعاطفه، نقوشاً وأسواراً وأزقة، كتعاطف المصلين في الصف خلف الإمام، ثم الأشكال التجريدية في الأعمال من صيام وقيام، كل ذلك لأن التجريد هو الفضاء الأقدر على التعبير عن عقيدة التوحيد⁽²⁾.

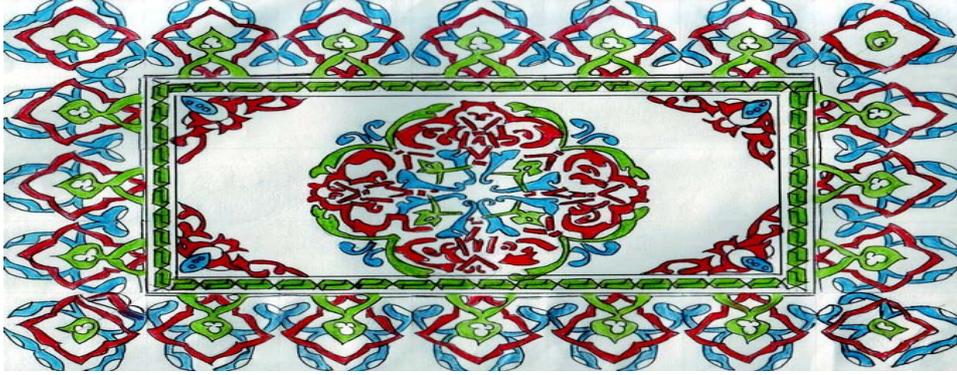
الفرع الثاني: اللاتبيعية الواضحة

هذا الأساس منبثق- على الحقيقة- من الأساس الروحي السابق بيانه، ويقصد به الفاروقي: أن الإسلام كان قوياً في المسعى الجمالي، كما كان قوياً في المسعى الديني، ففي المجال الفني، واجه الإسلام المذهب الهيليني القديم⁽³⁾، كما واجه الهيلينية المسيحية المعاصرة المتجه للتجسيم، فقد تناغم وتزاوج إنكار الإسلام الجازم الصارم لألوهية المسيح، مع إنكاره للنزعة الطبيعية في التمثيل الجمالي للطبيعة، وتجلّى ذلك في تشجيع الإسلام لفن التوشيه والمنمنمات، فالنبته المنمنمة، أو الزهرة المنمنمة إنما هي تصوير ساخر أو مَسْوِه لشيء حقيقي من أشياء الطبيعة، إنها اللاتبيعية⁽⁴⁾.

ويقصد الفاروقي بالوضوح: ابتعاد الإسلام عن النزعة الطبيعية عالية النبوة؛ إذ هي تتعارض مع مقصد الإسلام، في كونه يمنع تكيف الذات الإلهية، والتصوير الطبيعي عالي النبوة، يمكن أن يؤدي إلى تصوير الذات الإلهية، وهو أمر يتعارض مع مبادئ العقيدة الإسلامية، وفي الوقت ذاته فإن الطبيعة المتمثلة في نبته أو زهرة منمنمة، مجردة، واحدة، أمر لا فن فيه، وهو تصوير مجرد للطبيعة، دون أي تميز أو إبداع أو ابتكار، فهض الإسلام لتحدي الطبيعة المجردة، وتحدي التجسيم، فقدم اللاتبيعية الواضحة، عن طريق ما أتى به من حل فريد

- (1) ينظر: التوحيد والفن (3)، ص 69-70.
- (2) الأنصاري، فريد. سيماء المرأة في حرب القيم بين النفس والصورة. مجلة البيان. عدد 194، ص 40، 1998م
- (3) المذهب الهيليني: منسوب إلى الحضارة الهيلينية، وهي مستمدة من كلمة هيلين، اللقب الذي أطلقه اليونانيون على أنفسهم، وهي حقبة تاريخية متأخرة من الحضارة الإغريقية، تمتد من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن الخامس الميلادي. ينظر: بل، هارولد إدريس. الهيلينية في مصر، بحث في وسائل انتشارها وعوامل اضمحلالها من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة: زكي علي، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ص 32.
- (4) ينظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص 70-79.

وإبداعي ومبتكر، وهو أن يصدر النبتة أو الزهرة المنمنمة في تكرار لا نهائي، كي يبرأ من أي تفردية، ويلغي بذلك المذهب الطبيعي⁽¹⁾ من الوعي، مرة واحدة، وإلى الأبد⁽²⁾.



منمنمة إسلامية

الفرع الثالث: عناصر التكوين التاريخية للإسلام

ويقصد به الفاروقي: عناصر تكوين الوعي العربي، وأول هذه العناصر: اللغة العربية، التي تتألف أساساً من أصول يمكن تصريفها، على ما يزيد على ثلاثمائة شكل مختلف، وذلك عن طريق النطق والإعلال⁽³⁾ والإبدال⁽⁴⁾.

كما أن فن الأدب يتوقف على بناء نسق من التصورات، التي يرتبط الواحد فيها بالآخر، على النحو الذي يحرك التوازيات والتقاطعات الناشئة عن تصريف الأصول⁽⁵⁾.

(1) المذهب الطبيعي: مذهب في الفن والأدب نشأ في فرنسا عام 1880م، وتميز بالنزوع إلى تطبيق مبادئ العلوم الطبيعية وأساليبها، وبخاصة النظرة الداروينية إلى الطبيعة، على الأدب والفن. يعتبر إميل زولا مؤسس هذا المذهب، ومن أسسه: القول بوجود الله وإنكار العناية الإلهية، وإثبات الأحادية المادية الزاعمة أن المادة حية بذاتها، وأن الأحياء تتطور ابتداءً من خلية تحدثها المادة الحية، بحيث تحدث الأعضاء الحاجات، وتحدث الحاجات الأعضاء. ينظر: مكرم، يوسف. تاريخ الفلسفة الحديثة. الطبعة الخامسة. مكتبة الدراسات الفلسفية. ص 191.

(2) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 71-72.

(3) الإعلال: تغيير حرف العلة للتخفيف، ويجمعه القلب، والحذف، والإسكان. ينظر: الإسترأبادي، رضي الدين محمد بن الحسن. شرح الرضي على الكافية. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان (1395هـ) (1975م). ج 3، ص 66.

(4) الإبدال: جعل حرف مكان حرف. مثل: فناء الدار، وثناء الدار وله أقسام، وتفصيلات يضيق المقام بذكرها. ينظر: الدويني، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر (646هـ)، الشافية، تحقيق: حسن أحمد العثمان، الطبعة الأولى، المكتبة المكية، مكة المكرمة، 1995م، ج 2، ص 211.

(5) ينظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص 73.

وكذا الشعر العربي، الذي يتألف من أبيات مستقلة وتامة وغير متوافقة، للشاعر مطلق الحرية في أن يختار أي واحد من بضعة وثلاثين قالباً وزنياً، وهي أبحر الشعر المعروفة، لكن الشاعر عندما يقرر اختيار واحد من البحور الشعرية، فإنه يضع قصيدته كاملة، مطابقة لذلك القالب الشعري⁽¹⁾.

يضاف إلى ذلك، أنه لا توجد قصيدة شعر عربية، منتهية ومغلقة وكاملة بأي معنى، بحيث يستحيل إضافة أبيات إليها، أو تصور إمكانية مواصلة نظمها، فقصيدة الشعر العربية، قابلة في الحقيقة لتمديدتها في كلا الاتجاهين، بإضافة لها عند بدايتها، أو عند نهايتها، دون أدنى تأثير على جمالها، إن لم يكن بواسطة أي إنسان بحكم البصمة الشخصية للشاعر، فبواسطة من ألفها⁽²⁾.

فيشبه الفاروقي، العلاقات في تصريف الكلمة في اللغة العربية، والعلاقات التي يقيمها الأديب، بين الكلمات، لتكوين جمل، وفقرات، على نحو رائع جذاب، والأوزان التي يضع الشاعر قصيدته وفقاً لها، يشبه ذلك كله بعمل الأرابيسك⁽³⁾، الذي يضم ألفاً من المثلثات والمربعات والدوائر والمخمسات والسداسيات والمثمنات، وكلها ملونة بألوان مختلفة، ويتداخل ويتداخل أحدها في الآخر⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: مظاهر الفن الإسلامي كما يراها الفاروقي

قرر الفاروقي، أن الفن الإسلامي، جميعه، قد استعان بألفاظ القرآن الكريم، والحديث، البالغة التأثير في الوجدان، وبالشعر العربي أو الفارسي، أو بأدب الحكمة الإسلامي، واستخدمها، بأن صاغها في خط عربي جميل.

وهذا يدل على استغلال رفيع القدر، للتراث الإسلامي الرائع، وكان علم ذلك الاستغلال، الخط العربي الجميل بأنواعه الكثيرة المتباينة.

يقول الفاروقي: "لا نجد بين من ينتمون إلى تلك الثقافات أي: شعوب ما بين النهرين، والبرانيين، والهندوكيون؛ .. بما في ذلك العرب أنفسهم، من حاول اكتشاف القيمة الجمالية للكلمة المرئية؛ فالكتابة كانت، ولا تزال في الغالب، عملية فجة، ولا يتركز حولها أي اهتمام جمالي في ثقافات العالم؛ ففي الهند وفي بيزنطة وفي الغرب المسيحي، ظلت الكتابة محصورة

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 71-74.

(2) ينظر: الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص 337.

(3) الأرابيسك: التزييق أو التوريق، أو الرقش، بالفرنسية (Arabesque)، وبالأسبانية (Atairique) وهو عبارة عن نماذج للتزيين معقدة، لأن زخارفه متداخلة ومتقاطعة، وتمثل أشكالاً هندسية وزهوراً وأوراقاً وثماراً. وقد كان جلياً لدى الأندلسيين الذين طوروه بشكل كبير، في مجال الأعمدة ونصف الأعمدة المربعة وفوق الجدران وعلى الأسقف. ينظر: بدوي، عبد الرحمن: التراث اليوناني في الحضارة العربية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط 1، 1940، ص 7.

(4) ينظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص 73-74.

في وظيفتها التعبيرية، أي في كونها رموزاً منطقية، وكان دورها تكميلياً فقط في الفنون المرئية (التشخيصية) في المسيحية أو الهندوكية، .. لكن ظهور الإسلام قد فتح آفاقاً جديدة أمام الكلمة كوسيلة للتعبير الفني. حقاً إن العبقريّة الإسلاميّة هنا لا تُضارَع، إن هذا الخطُّ قد أصبح لوئاً من ألوان الأربيسك (التوريق)، يمكننا إذن أن نتصوّرَه عملاً فنياً مستقلاً، إسلامياً خالصاً، بَعْضُ النظر عن مضمونه الفكري"⁽¹⁾.

وقد بيّن الفاروقي بعضاً من مظاهر الفن الإسلامي، وهي:

الفرع الأول: القرآن الكريم

فهو أول تحفة إسلامية فنية رائعة، في الشكل والمضمون، ويعترف الفاروقي بأن شكل ومضمون القرآن الكريم أمر إلهي، غير أن هذا لا يمنع الناقد من القول: إن الشكل إنما كان ذلك الشكل الذي عده الوعي العربي المعيار المطلق، والمثل الأعلى، الذي كان يتشوف إليه عبر الأجيال والقرون⁽²⁾.

ويعدّ الفاروقي القرآن الكريم المظهر الفني الإسلامي الأول والأعلى تأثيراً في نفس كل مسلم، وذلك من خلال إيقاع القرآن ونظمه وبلاغته⁽³⁾. فكانت النتيجة الفكرية والفنية: أن صار القرآن الكريم القدوة والمثال لجميع ما ظهر من تجليات الفن الإسلامي⁽⁴⁾، فالقرآن الكريم هو أحق ما في الوجود بمسمى الفن⁽⁵⁾.

يقول الفاروقي: "وقد جاء القرآن الكريم مرتباً في سور أو أجزاء متفاوتة الأطوال، أطولها يأتي سابقاً على أقصرها، باستثناء الفاتحة، أو فاتحة الكتاب، فهي بطول سبع آيات فقط⁽⁶⁾، ولم تتوصل إلى سبب ذلك الترتيب على وجه قاطع، سواء لترتيب سورة، أم لترتيب الآيات داخل كل سورة"⁽⁷⁾. وجدير ذكره: أن العلماء قد بحثوا حكمة ترتيب الآيات والسور، في مؤلفات كثيرة، منها القديم والجديد⁽⁸⁾.

(1) نقل كلام الفاروقي الدكتور راغب السرجاني، في مقال له باسم: القيمة الجمالية للخط العربي. منشور على الموقع الإلكتروني. <http://www.islamstory.com/>. وقد نقله الدكتور السرجاني، عن بحث للفاروقي، منشور في مجلة المسلم المعاصر، عدد 25، عام 1401 هـ. ولم أستطع الوصول إلى بحث الفاروقي.

(2) نظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص 77.

(3) ينظر: الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص 291.

(4) ينظر: الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ص 338.

(5) ينظر: الفاروقي، التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، ص 338.

(6) هذا غير مسلم به؛ إذ جاءت بعض السور أقصر في عدد الآيات من السور اللاحقة لها، مثاله سورة المائدة الواقعة في عشرين ومائة آية، وهي قبل سورة الأنعام الواقعة في خمس وستين ومائة آية وغيرها من الأمثلة.

(7) ينظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص 77-78.

(8) جدير ذكره أن العلماء قد بحثوا حكمة ترتيب الآيات والسور. ومن المؤلفات في ذلك: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد أبو الفضل، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الاعتصام - القاهرة.

ويقرر الفاروقي أن عدم المنطقية هذه، سببت عند غير الدرب، تصوراً لصوراً نثار فوضوي هائل من الجملة المنفصلة، أما الدرب، فيتولد لديه وعي وقوة دفع تحمله على مواصلة القراءة، والتكرار إلى ما لا نهاية، فيمتزج الشكل والمضمون في وحدة متكاملة، تهدف إلى تحقيق حدس بالعظمة الإلهية، وهذا الحدس مكتسب من الشعور بالعجز عن التعبير عن الإلهي، وعن العجز عن محاكاة الامتناهي، فلا يمكن أن يذهب بنا الأمل أبد إلى أن نحيط بالله علماً، وإنما يسعنا، بل ويمكننا، أن نحقق شعوراً حدسياً بحضوره⁽¹⁾.

فيشير الفاروقي هنا إلى الإعجاز في القرآن الكريم، بكونه مجالاً مفتوحاً للنظر والتفسير، وهذا يغري المسلمين في النظر، ويحفز خيالهم إلى القيام برحلة لا نهاية لها، فليس من مسلم لم تهزه في صميم أعماق وجوده، ما للقرآن من نعمات ختم، وجرس إيقاعات، وأوجه بلاغة⁽²⁾.

ولقد أدرك كل مسلم، أن آيات القرآنية لا تتطابق مع أي من بحور العروض المعروفة، فلا يمكن رد الآيات إلى وزن عروضي واحد، ويمائل تدفق القرآن الكريم، غير الموزون عروضياً، دفق أو انسياب التقاسيم في الموسيقى العربية، وهي تلك التي تتحرر من الأنماط الإيقاعية⁽³⁾.

لقد حطم القرآن الكريم- في نظر الفاروقي- جميع مستويات الإبداع التي عرفها العرب من قبل، فكل آية تطابق المقاييس الأدبية المعروفة وتفي بمطالبها، ثم تتفوق على تلك المقاييس بما يتعدى الحدود، وكان العرب على علم بالإبداعات الأدبية التي تبلغها لغتهم، وقد شهدوا تحقق العديد من تلك المستويات في كلام الشعراء والخطباء والكهان، بدرجات مختلفة من الكمال، وكان تحقق تلك المستويات في القرآن يفوق كل ما كانوا عليه⁽⁴⁾.

وقد بسط الفاروقي الخصائص التي تشكل الرفعة في العبارة القرآنية، وهذه الخصائص هي⁽⁵⁾:

1. **النثر المطلق:** فالقرآن ليس بشعر ولا بسجع، فالشعر يتكون من أبيات متشابهة في الوزن، وفي القافية، والسجع نثر تتخلل جملة وعباراته قافية تلتزم القطعة النثرية كلها، والقرآن لا شعر ولا سجع، ولو أن بعضه يحتوي على خصائص هذين الشكلين، والقرآن استخدم الشكلين بحرية من أجل تدعيم هدفه. وإذ يستخدم القرآن عناصر الشعر والسجع فإنه يأتي دوماً بأبلغ النتائج، ولكن ليس لما يجعل من الممكن وجود أدنى درجة من التشابه أو الخلط.
2. **التناسب التام بين الكلمات والمعاني:** إذ تتكون الآية القرآنية من كلمات وعبارات تناسب المعاني بشكل تام، فمفردات القرآن الكريم دائماً صحيحة وكاملة على نحو قاطع، وأي

(1) ينظر: الفاروقي. المصدر السابق نفسه، ص78-79.

(2) ينظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص80.

(3) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص80.

(4) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، ص 480.

(5) تنظر هذه الخصائص في: المصدر السابق نفسه، ص 480-482.

تغيير، مهما يكن طفيفاً، يسيء إلى المعنى، ولا يمكن حذف أية كلمة من دون الإخلال بانسياب الآية ومعناها، كما لا يمكن إضافة أية كلمة إلا وكانت فائضة أو إقحاماً للغريب على المؤلف أو الأصيل.

3. **التوازن:** ومعناه: أن الكلمات والعبارات القرآنية، في آية أو في جزء من آية، تتشابه أو تتناقض تماماً مع تلك التي تسبقها أو تتبعها في عبارة أو آية، سواء في التركيب أو في المعنى، وهكذا يؤدي إلى انسياب الكلمات إلى أقصى درجات التوتر والتوقع، وإلى أبلغ الطمأنينة والرضا، وهذه الصفة في بنية اللغة القرآنية، تفعل فعلها من خلال الشكل كما من خلال محتوى النص.

4. **الإيجاز:** ذلك أن للكلمات والعبارات القرآنية أغنى المعاني وأبلغها في أشد الأشكال إيجازاً، فلغة القرآن الكريم تخلو من الإطناب، وليس فيها كلمة زائدة عن المطلوب، كما أن أية إعادة صياغة لعبارة أو جملة أو آية تتطلب كلمات أكثر بكثير، وتبدو دائماً متكلفة، مصطنعة، ممطوطة، وبالتالي أقل تأثيراً وبلاغة، وأقل إثارة من الأصل القرآني.

5. **الإبداع بشكل رفيع:** من خلال أمثلة التشبيه والاستعارة، والوصل والفصل بين الأفكار والمفاهيم، والتي لها أكبر قدر من الجاذبية، فهي تستحوذ على الخيال بدرجة من القوة حتى يدهش القارئ من الصدمة والذهول.

6. **البنية اللغوية الدقيقة صادقة العرض:** فلغة القرآن الكريم محبوكة، في عمل فني مطلق الكمال، فانسيابها وتركيبها يخلوان تماماً من الفجوات ونقاط الضعف.

7. **حسن الإيقاع:** فالأسلوب القرآني جزل وتوكيدي وجازم، كما أنه ناعم رقيق، ويمكن للقارئ أن يحس به متساقطاً كالصخور أو متهادياً برقة بالغة، فإن كان الأسلوب مؤشوشاً كجدول قرقاق، أو صحابياً كسيل، أو متوثباً مندفعاً كهجمة الفرسان، فإيقاعه: الكمال على الدوام.

8. **البنية غير المألوفة:** فليس للإنشاء القرآني بنية بالمعنى المؤلف للمصطلح، فهو يجمع بين الحاضر والماضي والمستقبل، وبين صيغ الأمر في الفقرة نفسها، والتحول المفاجئ في زمن الفعل، أو صيغته يؤدي إلى أثر كبير في الخيال ويحمل الفهم على الانتقال من التلقي إلى المشاركة، ومن الإدراك إلى الحكم الذي يكون دوماً إيجابياً يتفق مع القرآن الكريم.

الفرع الثاني: الفنون البصرية

هي الأشكال الفنية التي تركز على إنشاء الأعمال، التي هي في المقام الأول مرئية في الطبيعة، مثل: الفنون التشكيلية التقليدية (الخزف، الرسم، الرسم الفني، النحت، العمارة، والطباعة)⁽¹⁾، ولما كان الفن البصري في الإسلام، معنياً بالطبيعية البشرية-خلاقاً لما كان في

(1) حسن، زكي محمد، في الفنون الإسلامية، مصر، مطبعة الإعماد، 1995م، ص41.

الفن الغربي-، فقد اعتمد على الطبيعية الإلهية، مستبعداً التعبير عن الذات الإلهية، منصباً على تجليات ظاهرة في منمنمات وزخارف وخطوط، لا طبيعية، إذ هي لا متناهية، ولكنها واضحة.

وأشار إلى ذلك معظم الباحثين في الفن الإسلامي، وأظهروا إن الفن الإسلامي قد أبدع في الزخرفة التي تعتمد على المنحنيات وتتحاشى الأشكال المستقيمة؛ للبعد عن الأشكال الموحية بالصلبان، كما ابتعدت عن رسم ذوات الأرواح، والمتأمل في تاريخ الحضارة الإسلامية، يرى كيف أن الشريعة أوجدت الإبداع والإضافة والتطوير حتى قدمت لنا بديلاً مبهراً للأوروبيين الذين يعانون من الفراغ الشديد، والذين يصورون لنا مثلاً بعض الوثنيات الإفريقية أو الهندية على أنها فن وحضارة، وهم يدركون جيداً أن الإسلام وأمه هما اللذان يشكلان بديلاً حضارياً، يمكن أن يجتذب، ويحتوي القطاع الأوسع من البشر؛ لأنه أقرب إلى الفطرة والعقل والإدراك، إلى جانب القوة الضخمة التي يتيحها له الميراث الحضاري⁽¹⁾.

قال الفاروقي: "إن تصاميم الجمال الموجود في الفنون الإسلامية تشكل موازنة بين الجهود الجمالية للشعوب الإسلامية في كل مكان لإبداع منتجات فنية تبعث في الناظر حساً بالرفعة الإلهية، وزخرفة الأعمال الفنية هي النتيجة والجوهر من ذلك الجهد"⁽²⁾.

ومن تلك الفنون البصرية

1. فن الزخرفة

وتعرف على أنها: "ذلك العنصر في الإنتاج الفني، الذي يضاف إلى ذلك الإنتاج، أو يدخل عليه، لأغراض التجميل"⁽³⁾. وهذا تعريف عام للزخرفة عند الغربيين، وقد انتقد الفاروقي هذا التعريف، موضحاً أن الزخرفة في الفن الإسلامي ليست شيئاً يضاف بشكل سطحي إلى العمل الفني بعد اكتماله، لتجميله بصورة غير أساسية، كما أنها ليست وسيلة لإشباع شهوات شعب يبحث عن اللذة، فالإسلام لا ينظر إلى الزخرفة على أنها محض فضاء لتجنب الفراغ، بل إن الناظر إلى تلك التصاميم الجميلة المعقدة، والتي تم زخرفتها على القطع الفنية في كل منطقة، وفي كل عصر من عصور التاريخ الإسلامي، يدرك أن الزخرفة في الإسلام تؤدي أربع وظائف تعبر عن مغزاها⁽⁴⁾، وهذه الوظائف هي:

الوظيفة الأولى: التذكير بالتوحيد، ذلك أن تصاميم الجمال الموجود في الفنون الإسلامية تشكل موازنة بين الجهود الجمالية للشعوب الإسلامية في كل مكان لإبداع منتجات فنية تبعث في الناظر حساً بالرفعة الإلهية، وزخرفة الأعمال الفنية هي النتيجة والجوهر من ذلك الجهد⁽⁵⁾.

(1) سلطان، جمال. مجلة البيان. عدد 131، ص 30.

(2) ينظر: الفاروقي، المصدر السابق نفسه، ص 539.

(3) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، ص 538.

(4) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، ص 538.

(5) ينظر: الفاروقي، المصدر السابق نفسه، ص 539.

الوظيفة الثانية: تغيير المظهر، فالمادة التي تغيّر مظهرها بفعل الزخرفة، قد جرى عليها تغيير في الشكل أو المظهر لا في الجوهر، ويصدق هذا تماماً على الأعمال المزخرفة في الفن الإسلامي، فالخشب الذي تصنع منه القطعة الفنية لم يفقد خواصه الطبيعية، والحجر الصلد ما زال على صلابته، والمعدن ما زال يستعصي على التخريم كما كان قبل بدء عملية الزخرفة، لكن الشكل والمظهر من تلك المواد قد تغيّرًا بشكل جذري⁽¹⁾.

ولا يقتصر التغيير في الزخرفة في الفن الإسلامي، على التغيير بوصفه محض تغيير، بل يفيد التغيير الإعلاء والتعظيم، أو إضفاء الصفة الروحية، فالعمل الفني الذي يتزين بأنساق لا متناهية له منزلة سامقة فعلاً في ذهن المسلم، وبخاصة إذا كانت التصميمات الزخرفية تشتمل على عناصر من الخط تمثل نصوصاً قرآنية أو دينية⁽²⁾.

الوظيفة الثالثة: تغيير مظهر البنى، وهي خصيصة عامة في الإنتاج الفني، تقصد إلى تحويل الاهتمام بعيداً عن العناصر والخصائص المبتذلة وتوجيهه إلى منزلة أسمى، من التعبير والمعنى، وتؤدي الزخرفة في أي عمل فني إسلامي دوراً في تغيير مظهره بنيوياً، بإخفاء الأشكال الأساس أو التقليل من أثرها في الناظر⁽³⁾.

فالزخرفة في الإسلام تؤكد بنية التصميم، وهو أمر مرغوب دائماً؛ لأنه يبرز التوحيد الذي يقوم عليه الإدراك الجمالي لأي عمل فني، وتبتعد الزخرفة في الفن الإسلامي عن توكيد هيكل البناء الفعلي؛ لأنه يقود إلى التوكيد على العناصر الطبيعية الدنيوية الفجة، أي العناصر العضوية للعمل الفني، من أجل ذلك، كان الفنانون المسلمون يميلون إلى إخفاء تفاصيل البنية بأنواع الطلاء من زخارف تغيّر المظهر⁽⁴⁾.

الوظيفة الرابعة: التجميل، فقد استخدمت الزخرفة للتجميل والتحسين، والزخرفة تقوم بهذه الوظيفة بنجاح كبير؛ لأن الأنساق التي تبدها في القطعة المزخرفة نفسها تنطوي على ما يبهج النظر⁽⁵⁾.

وهذه الحقيقة التي تقوم على تناظر الأنساق وألوانها المفرحة وأشكالها المتنوعة كانت موضع إعجاب غير المسلمين، الذين لا يستطيعون تذوق تلك الفنون من داخل المنبت الحضاري، كما كانت موضع إعجاب المسلمين أنفسهم، فالزخرفة الموجودة على هذه الأعمال الفنية تعبر عن بعد إضافي من الجمال عند المتلقي المسلم؛ لأن أي صورة من عبارة أو حركة أو

(1) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، *أطلس الحضارة الإسلامية*، ص 540.

(2) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 540.

(3) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 543-544.

(4) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 544.

(5) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، *أطلس الحضارة الإسلامية*، ص 544.

خط أو أحدوثة تعبر عن التوحيد، فهي عند المسلم تعبير حقيقة وخير، لذا، فهي تعبير عن الجمال⁽¹⁾.

ومن الصور المهمة لفن الزخرفة الإسلامي

فن الأربيسك: الذي هو تصميم غير تطويري، يمتد في كل الاتجاهات إلى ما لا نهاية، ويحول الأربيسك شكل الشيء الطبيعي الذي يزينه، سواء أكان نسيجاً أم معدناً أم أنية، أم حائطاً، أم سقفاً، أم عاموداً، أم نافذة، أم صفحة من كتاب، إلى نموذج طاف، شفاف، مرهف، يمتد إلى ما لا نهاية في كل الاتجاهات، ولا يعود الشيء المأخوذ من الطبيعة هو نفسه، بل يصير شيئاً جديداً تحولت طبيعته، وأصبح مجرد مجال للرؤية⁽²⁾.

والأربيسك له وجود عام في سائر البلاد الإسلامية، ويشكل السمة الرئيسية، أو العنصر المميز في سائر الفن الإسلامي، فوجوده كفيل بأن يحول أي وسط أو بيئة إلى شيء إسلامي، وهذا ما يخلع ضرباً من الوحدة على فنون شعوب جمة الاختلاف، وهو في جوهره: تصميم يتألف من العديد من الوحدات أو الأشكال التي تترايط وتتداخل معاً، على نحو من شأنه أن يحمل المشاهد على أن يتحرك متنقلاً في كل الاتجاهات، من شكل أو وحدة إلى شكل آخر، أو وحدة أخرى⁽³⁾.



أعمال أربيسك في أحد المساجد

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 544.

(2) الفاروقي، التوحيد، ص 331.

(3) ينظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص 85-86.

فن المنمنمات: التي أحدثت نوعاً من سلب ما هو طبيعي عن الطبيعة، لذا اندفع مسلمو العرب الأوائل مع هذه الطريقة إلى أقصى مداها، فإن المنمنمات تعني غياب التنوع، وغياب حركة التطور للأطراف من جذع إلى غصن وورقة، على نحو ما نجد عليه الوضع في المملكة النباتية، فقد رسمت سائر الأوراق والأزهار في نفس اللوحة، بشكل متشابه متكرر على شكل شريط، فكان التكرار هو الضربة القاضية للمذهب الطبيعي، وهذا ما ميز فن المنمنمات الإسلامي⁽¹⁾.

وتشبه المنمنمة، القصيدة الشعرية، في كونها تتشكل من أجزاء كثيرة، كل منها منفصل عن الآخر، ويمثل مركزاً مستقلاً بذاته، وكما يستمد القارئ أو المستمع للشعر إحساسه بالبهجة من إدراكه للجواهر الأدبية المنظومة في البنية المحبوكة لأبيات الشعر، فإن المشاهد يتأمل في زخرفة الأربيسك على السجادة والباب والنافذة والحائط وسراج الفرس والعمامة والملابس، وما شاكل ذلك، داخل أحد مراكز المنمنمة، واضعاً في حسبانته وجود عدد لا يحصى من المراكز الأخرى فيها، التي يمكنه التحرك ببصره لرؤيتها⁽²⁾.

1. فنون المكان

وهي الخاصة بالمساجد، والأضرحة، والقلاع والقصور، والأبراج والجسور، وغيرها، وتتضمن أربعة أقسام فرعية مهمة في الإبداع الفني، هي:

القسم الأول: وحدات الحجم، أي الأنصاب القائمة بذاتها أو شبه المتصلة من غير فراغ مكاني داخلي، مثل النوافير والأعمدة التذكارية والأبراج وأقواس النصر والجسور وقنوات المياه، ويؤدي هذا القسم دوراً فنياً يفوق دور الزخرفة في الفن الإسلامي، وتستفيد أمثلة هذا القسم من الأبعاد الأفقية والرأسية في المكان، كما تستفيد من الطبيعة التشكيلية في الحجم⁽³⁾.

القسم الثاني: العمارة، وهي تلك الإبداعات الفنية التي تضيف مكاناً داخلياً، وكنفاً إلى الأبعاد الأفقية والرأسية، وتعطي انطباعاً بالعمق والحجم والكتلة⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 84-85.

(2) الفاروقي، التوحيد، ص 344.

(3) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، ص 574.

(4) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 575.



مسجد السليمية بأدرنة ويتميز بقبة كبيرة متسعة، وترتكز على ثمانى أكتاف قريبة جدًا من الجدار، وله نوافذ كثيرة.

القسم الثالث: هندسة المناظر الطبيعية، وهذا شكل فني طورته الشعوب الإسلامية بشكل واسع، ونجاح متميز، وتعنى هندسة المناظر الطبيعية بالجوانب الإبداعية الجميلة من البستنة، وهندسة المياه، أي العلم الذي يُعنى بالاستعمال الفني لقنوات المياه والبرك والنوافير ومساقط المياه⁽¹⁾.

القسم الرابع: تصميم المدينة والريف، وتعتمد المعالجة الفنية في هذا القسم، على العلاقة بين البناء وما يجاوره من أبنية، وبالمساحات المكشوفة من حولها، وبالمجمّع السكني أو القرية أو الحي من المدينة أو الحاضرة التي يشكل البناء جزءاً منها⁽²⁾.

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 539.

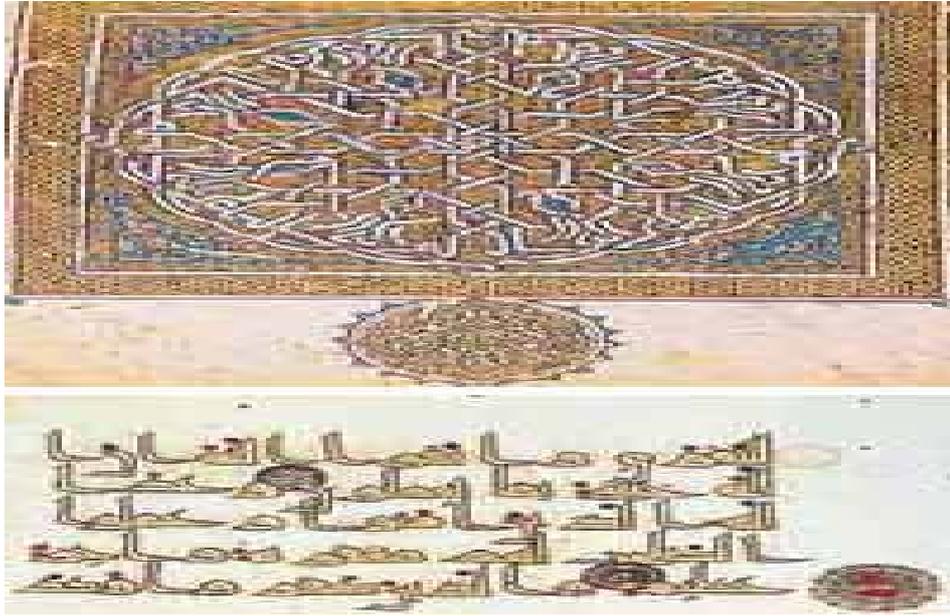
(2) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 539.

2. فن الخط العربي

لقد أفلح الفنان الإسلامي، في أن يحول الكلمة العربية إلى عمل من أعمال الفن البصري، منطو على دلالة جمالية مهيأة للحدس الحسي، مختلفة تماماً عن المعنى العقلي المهيأ للملكة العقلية والذهن، وكان هذا الفن الجديد، خاضعاً وتابعاً للمقصد العام الخاص بالوعي الإسلامي، وقد عمل على تطوير كفاءاته ومواصفاته البصرية، بحيث يشكل زخرفة عربية⁽¹⁾.

فقام الفنان المسلم، بالوصل بين الحروف بحيث تسنى للعين، بدلاً من رؤية الحرف على حدة، أن ترى الكلمة كلها في لمحة واحدة، وبحدس حسي واحد، بل وأن ترى، فعلاً، العبارة أو السطر كله.

كما قام الفنان المسلم بتشكيل الحروف بحيث أصبح في إمكانه الآن، أن يمدها ويطيئها ويقصرها ويميل بها ويبسطها ويستقيم بها ويحنيها ويقسمها ويكثفها ويدققها ويكبرها، جزئياً أو كلياً كيفما شاء، على أسس فنية مدروسة⁽²⁾.



مخطوطة نادرة بالخط الكوفي القديم

(1) ينظر: الفاروقي. الإسلام والفن، ص92.

(2) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص93.

وقد صنّف الفاروقي الاتجاهات في فنون الخطّ المعاصرة في العالم الإسلامي إلى خمسة أصناف هي:

- **الصنف الأول: الخط التراثي،** المزاج بين عادات عميقة الجذور، وبين عناصر أكثر قبولاً في التراث الإسلامي، فالتراثي لا ينطوي على التطابق مع القديم وحسب، بل إنه يفيد كذلك السير مع شكل التيار الرئيس، أو السمات الغالبة في عموم ما أنتجه المسلمون من فنون الخط⁽¹⁾.
- **الصنف الثاني: الخط التشكيلي،** وهو يربط عناصر شكلية إلى عناصر الخط بطرق مختلفة، وتأتي بعض طرق الربط على هيئة إضافة، إي تجاور بين عناصر الخط وعناصر الأشكال في العمل الفني، ولهذه التشكيلية عناصر تقتصر عموماً على الأوراق أو الأزهار بعد تحويل صورها، أو نزع الصفة الطبيعية عنها؛ كي تناسب الصفة التجريدية في الفن الإسلامي⁽²⁾.
- **الصنف الثالث: الخط التعبيري،** الذي يبرز فيه التعبير عن الشعور، أو العناصر الحسية من خلال تشويه عنيف ومبالغة. وتتمثل التعبيرية في أعمال الفنانين الذين يسعون إلى توصيل مشاعرهم الخاصة إلى الناظر، من خلال تصوير استجابة شخصية بصرية وعاطفية، نحو الأشياء التي يصورون⁽³⁾.
- **الصنف الرابع: الخط الرمزي،** ويلحظ في هذا النوع من الخط الميول الغربية التي تدخل من جديد في العملية الفنية واتجاهاتها، وتنتضح هذه الثقافة في تصاميم الخطاطين المعاصرين الذين يستخدمون حرفاً بعينه أو كلمة لتكون رمزاً لفكرة أو لمجموعة من الأفكار.
- ومثل ذلك تلك الأعمال التي تختار حرفاً عربياً لتربطه بأشياء تبدأ أسماؤها بصوت ذلك الحرف، مثل حرف (س) الذي يرتبط باسم (سيف)، أو (سكين)، ويوضع الحرف الرمزي أو الحروف في تشكيلات تمثل الأشياء التي ترتبط بها لكي تؤدي معنى بذاته⁽⁴⁾.
- **الصنف الخامس: شبيه الخط،** ويسمى التجريد الصّرف، ويعني شبيه الخط: أن موضوعات هذا النمط من الفن تشبه الحروف أو الكلمات أو كليهما معاً، لكن الأشكال لا تحمل أيّاً من المعاني التقليدية المرتبطة بها. وعبارة التجريد الصّرف، تسمية مشتقة من حركة فنية غربية، من حركات القرن العشرين، وتطلق على نوع جمالي ضمن الإبداع الجمالي الإسلامي. وقد كان الفنانون المسلمون، من أتباع التجريد الصّرف يستخدمون

(1) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، **أطلس الحضارة الإسلامية**، ص 525.

(2) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، **أطلس الحضارة الإسلامية**، ص 528.

(3) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 529.

(4) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 531.

حروفاً وأشكالاً هندسية أو أية موضوعات أخرى بوصفها أشكالاً صرفية، لا علاقة لها بما فيها من معنى أو مغزى تقليدي، وإذ تنزع عن الحروف معانيها اللغوية تستخدم عناصر تصميم محضة، وإذ احتفظت التشكيلات الخطية بأي معنى، فمصدر ذلك خصائصها التعبيرية في طريقة عرضها أو ما يعزى إليها من مضامين أدبية رمزية⁽¹⁾.

الخاتمة

لقد بحث الفاروقي-رحمه الله تعالى- الفن الإسلامي، بحثاً عميقاً، سابراً فلسفته، كاشفاً عن شخصية الفنان المسلم، وعن ميزات ذلك الفن الهادف المؤثر.

وقد خلصت بعد دراسة رؤية الفاروقي، وزوجته لوس لمياء الفاروقي، للفن الإسلامي، إلى نتائج خاصة بتلك الرؤية، وهي:

1. لقد طبع الإسلام، الفنون، بطابعه الخاص، المزواج بين تراث أمة الرسالة، وتراث أمة الدعوة.
2. كان الفن الإسلامي، فناً عقائدياً، مستلهماً من روح الإسلام، مستفيداً من مكونات التراث العربي.
3. كان الفنان المسلم، منطبعاً بشعر العربية، وأدبها، مستفيداً من الخصائص الفنية للقرآن الكريم.
4. إن الفنون الإسلامية جمعت المسلمين في وحدة تاريخية، شعورية، فكرية، تطبيقية.
5. إن الإسلام قد قدم للعالم صورة جديدة للفنون، خالية عن العبث، بعيدة عن النمطية، مؤثرة في الإيمان، مدهشة للعقل.
6. لقد حوّل الفنان المسلم، كل ما يحيط به إلى فن راق، معبر عن دينه، هادف إلى دعوة غيره، في أنماط خاصة بالإسلام والمسلمين.

وأختم بجملة قالها الفاروقي، هي نتاج بحثه السابر للفن الإسلامي، حيث قال: "ويتطابق سر عظمة الفن الإسلامي مع عظمة الإسلام نفسه، في كون كل منهما عبارة عن سعي دائم لإبراز المسافة الفارقة بين الإنسان وبين الحق المتعالي الأسمى"⁽²⁾.

(1) ينظر: الفاروقي، إسماعيل، ولوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، ص 532.

(2) الفاروقي، التوحيد، ص 356.

Foundations and appearances

- Ibn Khnen, Abdullah bin Mohammed. (2004). *download provisions on judicial proceedings and Alvetoah*. Journal of Islamic Research in Islamic jurisprudence. Number 78.
- Ibn Siedh, Abu al-Hasan Ali bin Ismail Mursi. (2000). *Arbitrator and the Great Ocean*, Coroner: Abdul Hamid Hindawi. The first edition. Scientific Library, Beirut, Lebanon.
- Ibn Faris, Muhammad ibn Zakariya al-Razi Abu Hussein. (1991). *Lexicon standards of language, the first edition*, Dar generation, Beirut, Lebanon.
- Alasturabave, Radhi al-Din Muhammad ibn al-Hasan. (1975). *Complacent enough to explain*. The first edition. Scientific Library Beirut. Lebanon
- Al-Ansari, Fred. (1999). *Visage of women in the war between the values of self-image*. Journal of the AL Bayan. Number 194.
- Ansari, Fared. (2005). *Aesthetic concept of Islamic thought and Western philosophy*. Hira (Journal of Istanbul) the first year, the first issue..
- Badawi, Abdel-Rahman. (i 1.1940, p 7). *Greek heritage in the Arab civilization*, Cairo: Egyptian Renaissance Library.
- Bahnasi, Afef. No. XVI, in May 2000 knot of dread void in Islamic art, magazine: books and perspectives (intellectual monthly magazine),.
- Hassan, Mohammed Zaki. (1995). *in Islamic Art*, Egypt, Press accreditation.
- Dagher, Charbel. (2004). *Art and the Orient*, Beirut: Arab Cultural Center.
- Aldwyne, Jamal al-Din Abu Amr Uthman bin Omar. (1995). *cathartic. Probe: Hassan Ahmad Al-Othman*, the first edition, the Library Meccan, Makkah,

- Elsergany, Ragheb, *the aesthetic value of Arabic calligraphy*. Posted on Website. <http://www.islamstory.com/>.
- Said, Hamid. (2001). *Islamic art, originality and importance*, the first edition, Sunrise House, Cairo.
- Suyuti, Abdul Rahman bin Abu Bakr ibn Muhammad Abu al-Fadl. (1995). *the order of the secrets of the Quran, to achieve: Abdulkadir Ahmed Atta*, the first edition, Dar sit - Cairo.
- Amarah, Mohammed, (1991). *Islam and Fine Arts*. First Edition, Sunrise House, Cairo.
- Al-Farabi, Abu Nasr Ismail bin Hammad essential. (1987). *Asahah: Crown Arabic language and Sanitation. Probe: Ahmad Abdul Ghafoor Attar*. Fourth Edition. Dar AL Elm, Beirut.
- Faruqi, Ismail Raji and Los Lamia. (1998). *Atlas of the Islamic civilization, translation: Abd AL Wahed*, the first edition. Obeikan Bookstore, Riyadh.
- Faruqi, Ismail Raji. (1995). *Uniformity, the contents of thought and life. Translation: Sayed Omar*, the first edition, AL Shoroq House, Cairo.
- Faruqi, Ismail. *Islam, art, translation: the Wafai Ibrahim*. Deposit No.: 7240/199 m. Areeb Dar, Cairo.
- Farouki. (1981). *unification and Art (3)*, Journal of Contemporary Muslim, Issue 25.
- Faraaheedi, Khalil bin Ahmed Abu Abdul Rahman. (1988). *AL ayen. Probe: Mehdi Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai*, the first edition, Dar Al Rasheed, the Ministry of Culture and Information, Iraq.
- Gaoud, Halema. (January 1422). *And secular art. AL Bayan statement*, the magazine published by the Islamic Forum. Jeddah.
- Kodob, Mohammed, (1983). *Curricula of Islamic Art*, the sixth edition of legitimacy, Dar AL Shoroq, Cairo.

- AL Lowaty, Ali, *about the aesthetic theory of Islamic art in the Arab-Muslim*, Tunisia: Arab Organization for Education, Science and Culture, i 1.1982
- Matar, Ameerah. (2002). *Philosophy of beauty, their flags and doctrines*, Second Edition, Family Library, Cairo.
- Makram, Joseph. (1998). *History of modern philosophy*. Fifth Edition. Library philosophical studies. Cairo.